جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الموصل/ كلية الآداب
مجلة آداب الرافدين

# مَجَلَّةُ

# آدَابِ الرَّافِدَيْنِ

**مجلة فصليَّة علميَّة مُحكَّمة**

**تصدر عن كلية الآداب – جامعة الموصل**

العدد التاسع والثمانون/ السنة الثانية والخمسون
ذو القعدة – ١٤٤٣هـ / حزيران ١٦/٦/٢٠٢٢م

رقم إيداع المجلة في المكتبة الوطنية ببغداد : ١٤ لسنة ١٩٩٢
ISSN 0378- 2867
E ISSN 2664-2506

للتواصل: radab.mosuljournals@gmail.com
URL: https://radab.mosuljournals.com

# مجلة محكّمة تعنى بنشر البحوث العلميَّة الموثّقة في الآداب والعلوم الإنسانيَّة باللغة العربيَّة واللغات الأجنبيَّة

العدد: التاسع والثمانون السنة: الثانية والخمسون/ ذو القعدة – ١٤٤٣هـ / حزيران ٢٠٢٢م



رئيس التحـرير: الأُستاذ الدكتور عمار عبداللطيف زين العابدين (المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

مدير التحـــرير: الأُستاذ المساعد الدكتور شيبان أديب رمضان الشيبانيّ (اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق

أعضاء هيئة التحرير :

| | |
|---|---|
| الأُستاذ الدكتور حارث حازم أَيوب | (علم الاجتماع) كلية الآداب/جامعة الموصل/العراق |
| الأُستاذ الدكتورة وفاء عبداللطيف عبد العالي | (اللغة الإنكليزية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق |
| الأُستاذ الدكتور مقداد خليل قاسم الخاتوني | (اللغة العربية) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق |
| الأُستاذ الدكتور علاء الدين أَحمد الغرايبة | (اللغة العربية) كلية الآداب/جامعة الزيتونة/الأُردن |
| الأُستاذ الدكتور قيس حاتم هاني | (التاريخ) كلية التربية/جامعة بابل/العراق |
| الأُستاذ الدكتور مصطفى علي الدويدار | (التاريخ) كلية العلوم والآداب/جامعة طيبة/ السعودية |
| الأُستاذ الدكتورة سوزان يوسف أَحمد | (الإعلام) كلية الآداب/جامعة عين شمس/مصر |
| الأُستاذ الدكتورة عائشة كول جلب أوغلو | (اللغة التركية وآدابها) كلية التربية/جامعة حاجت تبه/ تركيا |
| الأُستاذ الدكتورة غادة عبدالمنعم محمد موسى | (المعلومات والمكتبات) كلية الآداب/جامعة الإسكندريّة |
| الأُستاذ الدكتور كلود فينثز | (اللغة الفرنسية وآدابها) جامعة كرنوبل آلب/فرنسا |
| الأُستاذ المساعد الدكتور أرثر جيمز روز | (الأَدب الإنكليزي) جامعة درهام/ المملكة المتحدة |
| الأُستاذ المساعد الدكتور سامي محمود إبراهيم | (الفلسفة) كلية الآداب/ جامعة الموصل/ العراق |

سكرتارية التحرير:

التقويم اللغوي: م.د.خالد حازم عيدان – مقوم لغوي/ اللغة العربيَّة

م.م.عمَّار أَحمد محمود – مقوم لغوي/ اللغة الإنكليزيَّة

المتابعة:

مترجم.إيمان جرجيس أَمين – إدارة المتابعة

مترجم.نجلاء أَحمد حسين – إدارة المتابعة

# قواعد تعليمات النشر

١- على الباحث الراغب بالنشر التسجيل في منصة المجلة على الرابط الآتي:
https://radab.mosuljournals.com/contacts?_action=signup .

٢- بعد التسجيل ستُرسل المنصة إلى بريد الباحث الذي سجل فيه رسالة مفادها أنَّه سجَّل فيها، وسيجد كلمة المرور الخاصة به ليستعملها في الدخول إلى المجلة بكتابة البريد الإلكتروني الذي استعمله مع كلمة المرور التي وصلت إليه على الرابط الآتي:
https://radab.mosuljournals.com/contacts?_action=login .

٣- ستمنح المنصة (الموقع) صفة الباحث لمن قام بالتسجيل؛ ليستطيع بهذه الصفة إدخال بحثه بمجموعة من الخطوات تبدأ بملء بيانات تتعلَّق به وببحثه ويمكنه الاطِّلاع عليها عند تحميل بحثه .

٤- يجب صياغة البحث على وفق تعليمات الطباعة للنشر في المجلة، وعلى النحو الآتي :

- تكون الطباعة القياسية على وفق المنظومة الآتية: (العنوان: بحرف ١٦/ المتن: بحرف ١٤/ الهوامش: بحرف ١١)، ويكون عدد السطور في الصفحة الواحدة: (٢٧) سطرًا، وحين تزيد عدد الصفحات في الطبعة الأَخيرة عند النشر داخل المجلة على (٢٥) صفحة للبحوث الخالية من المصورات والخرائط والجداول وأعمال الترجمة، وتحقيق النصوص، و (٣٠) صفحة للبحوث المتضمنة للأَشياء المشار إليها يدفع الباحث أجور الصفحات الزائدة فوق حدّ ما ذُكر آنفًا .
- تُرتَّب الهوامش أَرقامًا لكل صفحة، ويُعرَّف بالمصدر والمرجع في مسرد الهوامش لدى وورد ذكره أول مرة، ويلغى ثبت (المصادر والمراجع) اكتفاءً بالتعريف في موضع الذكر الأول ، في حالة تكرار اقتباس المصدر يذكر (مصدر سابق).
- يُحال البحث إلى خبيرين يرشِّحانه للنشر بعد تدقيق رصانته العلمية، وتأكيد سلامته من النقل غير المشروع، ويُحال – إن اختلف الخبيران – إلى (مُحكِّم) للفحص الأَخير، وترجيح جهة القبول أَو الرفض، فضلًا عن إحالة البحث إلى خبير الاستلال العلمي ليحدد نسبة الاستلال من المصادر الإلكترونيَّة ويُقبل البحث إذا لم تتجاوز نسبة استلاله ٢٠% .

٥- يجب أَن يلتزم الباحث (المؤلِّف) بتوفير المعلومات الآتية عن البحث، وهي :

- يجب أَن لا يضمّ البحث المرسل للتقييم إلى المجلة اسم الباحث، أَي: يرسل بدون اسم .
- يجب تثبيت عنوان واضح وكامل للباحث (القسم/ الكلية او المعهد/ الجامعة) والبحث باللغتين: العربية والإنكليزية على متن البحث مهما كانت لغة البحث المكتوب بها مع إعطاء عنوان مختصر للبحث باللغتين أيضًا: العربية والإنكليزية يضمّ أَبرز ما في العنوان من مرتكزات علمية .
- يجب على الباحث صياغة مستخلصين علميين للبحث باللغتين: العربية والإنكليزية، لا يقلَّان عن (١٥٠) كلمة ولا يزيدان عن (350)، وتثبيت كلمات مفتاحية باللغتين: العربية والإنكليزية لاتقل عن (٣) كلمات، ولا تزيد عن (٥) يغلب عليهنَّ التمايز في البحث.

٦- يجب على الباحث أن يراعي الشروط العلمية الآتية في كتابة بحثه، فهي الأساس في التقييم، وبخلاف ذلك سيُردّ بحثه ؛ لإكمال الفوات، أمَّا الشروط العلميَّة فكما هو مبيّن على النحو الآتي :

- يجب أن يكون هناك تحديد واضح لمشكلة البحث في فقرة خاصة عنوانها: (مشكلة البحث) أو (إشكاليَّة البحث) .
- يجب أن يراعي الباحث صياغة أسئلة بحثيَّة أو فرضيَّات تعبِّر عن مشكلة البحث ويعمل على تحقيقها وحلِّها أو دحضها علميًّا في متن البحث .
- يعمل الباحث على تحديد أهمية بحثه وأهدافه التي يسعى إلى تحقيقها، وأن يحدِّد الغرض من تطبيقها.
- يجب أن يكون هناك تحديد واضح لحدود البحث ومجتمعه الذي يعمل على دراسته الباحث في بحثه .
- يجب أن يراعي الباحث اختيار المنهج الصحيح الذي يتناسب مع موضوع بحثه، كما يجب أن يراعي أدوات جمع البيانات التي تتناسب مع بحثه ومع المنهج المتَّبع فيه .
- يجب مراعاة تصميم البحث وأُسلوب إخراجه النهائي والتسلسل المنطقي لأفكاره وفقراته.
- يجب على الباحث أن يراعي اختيار مصادر المعلومات التي يعتمد عليها البحث، واختيار ما يتناسب مع بحثه مراعيًا الحداثة فيها، والدقة في تسجيل الاقتباسات والبيانات الببليوغرافية الخاصة بهذه المصادر.
- يجب على الباحث أن يراعي تدوين النتائج التي توصل إليها ، والتأكُّد من موضوعاتها ونسبة ترابطها مع الأسئلة البحثية أو الفرضيات التي وضعها الباحث له في متن بحثه .

٧- يجب على الباحث أن يدرك أنَّ الحُكْمَ على البحث سيكون على وفق استمارة تحكيم تضمّ التفاصيل الواردة آنفًا، ثم تُرسل إلى المُحكِّم وعلى أساسها يُحكَّم البحث ويُعطى أوزانًا لفقراته وعلى وفق ما تقرره تلك الأوزان يُقبل البحث أو يرفض، فيجب على الباحث مراعاة ذلك في إعداد بحثه والعناية به .

**تنويه:**

تعبِّر جميع الأفكار والآراء الواردة في متون البحوث المنشورة في مجلتنا عن آراء أصحابها بشكل مباشر وتوجهاتهم الفكريَّة ولا تعبِّر بالضرورة عن آراء هيأة التحرير فاقتضى التنويه

**رئيس هيئة التحرير**

# المحتـــويـــات


| العنـوان | الصفحة |
|---|---|
| **بحوث اللغة العربية** | |
| الاغتراب في شعر صفي الدين الحلي (ت 750هـ) أحمد حسين محمد الساداني | 1-43 |
| مواجهة أَسى الطلليَّة سجى حازم خلف وإبراهيم جنداريّ جمعة | 44 -70 |
| التصوير البياني في ديوان جسر على وادي الرماد للشاعر ذنون يونس مصطفى هبة محمد محمود العبيديّ ومازن موفق صديق الخيرو | 71- 97 |
| الشاهد النحوي الشعري في "شروح اللُّمع لابن جنّيّ(ت392هـ)" معجمٌ وتوثيق - باب كان وأخواتها والمشبهات بليس أُنموذجًا- خالدة عمر سليمان وصباح حسين محمد | 98- 111 |
| دلالة أَوصاف (البيت) في القرآن الكريم دراسة في ضوء علم اللغة الاجتماعي دلالة مُنى فاضل الحلاوجي | 112- 142 |
| استدعاء الشخصيات في شعر أبي نواس مطير سعيد عطية الزهرانيّ | 143- 182 |
| الاختيارات المعجمية في ديوان المعتمد بن عباد "ت488هـ" فوَّاز أَحمد صالح | 183- 217 |
| ما جاء على بناء إِفْعَوْلَة (دراسة معجمية دلالية) تمام محمد السيد | 228-268 |
| بناء الأُسلوب في شعر نافع عقراوي -قراءة في قصيدة (أَنا والليل) – حسن محمد سعيد إِسماعيل | 269- 285 |
| أُسلوب الأَمر في اللغتين العربيَّة والتركيَّة (دراسة تقابليَّة) بشّار باقر عكريش | 286- 311 |
| الصّفة في اللغتين العربية والإنكليزية " دراسة تقابليّة في البِنْية والتركيب والدلالة" أَنفال عصام إِسماعيل الزيديّ | 312- 337 |
| الجَذر (ث/ق/ل) ومشتقاته في القران الكريم -دراسة دلالية – صباح أسود محمد | 338- 360 |
| **بحوث التاريخ والحضارة الإسلاميَّة** | |
| مشركو قريش وحلفاؤهم حتى فتح مكَّة (8 هـ) دراسة تاريخيَّة – كميَّة وليد مصطفى محمد صالح | 361- 415 |
| سياسة السلطان عبد العزيز بن الحسن الاصلاحية في المغرب ( 1900 – 1905 ) السياسية والادارية والمالية والعسكرية عمر محمد طه عاشور و صفوان ناظم داؤد | 416- 447 |
| المسيرة العلمية للدكتور محمد علي داهش محمود جاسم محمد و هشام سوادي هاشم | 448- 469 |
| الإسهامات الخيرية لنساء الأسرة الحاكمة للأعمال العمرانية في الدولة الإسلامية في القرن الرابع الهجري العاشر الميلادي الى القرن السابع الهجري الثالث العشر الميلادي أَرارات أَحمد علي | 470- 507 |
| **بحوث الآثار** | |
| ألاشيا (جزيرة قبرص) في المصادر الأكّدية فاروق عبَّاس إِسماعيل | 508- 530 |
| وصفات علاج لبعض أَمراض الرأس في بلاد الرافدين ومصر القديمة صباح حميد يونس | 531- 554 |
| **بحوث علم الاجتماع وبناء السلام** | |
| دور مؤسسات المجتمع المدني في بناء السلام والتعايش هديل نواف أحمد | 555- 571 |
| التحولات الاجتماعية المؤثرة في ظاهرة الانتحار دراسة تحليلية ياسر بكر غريب | 572- 601 |
| **بحوث الفلسفة** | |

| | |
|---|---|
| الحدس أو الوعي الصوفي في فلسفة ولترستيس ندى طلال أَحمد و زيد عبَّاس كريم | 647-602 |
| **بحوث الشريعة والتربية الإسلاميَّة** | |
| تداعيات النظر المقاصدي على أدلة الأحكام عند الْعَلَّامَةَ الزَّلَيّ<br>أسماء عدنان محمد الفارس ونبيل محمد غريب | 696 -648 |
| الإمام ابن حجر الهيتمي ومنهجه في تفسير (التوبة ويونس وهود)<br>صفا نشوان الطائي و عمار يوسف العباسيّ | 737 -697 |
| **بحوث القانون** | |
| ميراث المطلقة في مرض الموت في العلاقات الخاصة الدولية دراف محمد علي حسن | 737 -697 |
| **بحوث علم النفس وطرائق التدريس** | |
| فاعلية بيئة تعليمية الكترونية في تنمية مهارات تصميم الدروس الالكترونية لدى تدريسي جامعة الموصل أحمد لؤي الصميدعي وباسمة جميل توشي | 778 -738 |

CC BY



# دلالة أَوصاف (البيت) في القرآن الكريم

## دراسة في ضوء علم اللغة الاجتماعي

## دلالة أَوصاف (البيت) في القرآن الكريم (العنوان الثانوي)

مُنى فاضل الحلاوجي *

تأريخ التقديم: 2021/4/21 تأريخ القبول: 2021/5/22

**المستخلص:**

يسعى هذا البحث إلى دراسة دلالة أوصاف (البيت) التي وردت في آي القرآن الكريم في ضوء علم اللغة الاجتماعي لإظهار الصلة بين اللغة التي وردت بها تلك الأوصاف ( اللغة العربية) والمجتمع الذي تنتمي إليه، وجاء اختيار القرآن الكريم ليكون ميدان هذه الدراسة؛ لكون لغته تعد قمة الفصاحة والبيان، والثراء اللغوي وقوة التعبير ودقة الوصف؛ لا ينازعها في ذلك منازع بغية الوصول إلى النتائج المرجوة، وقد جمعت هذه الدراسة بين المنهجين الوصفي والتحليلي، وتمثل المنهج الوصفي باستقراء كل ما ورد من أوصاف (البيت) في آيات القرآن الكريم؛ لرصد تلك الأَوصاف وتحديدها، أَمَّا المنهج التحليلي فتمثل بتحليل تلك الأوصاف للوصول إلى دلالتها في السياق الذي وردت فيه؛ بما يبرز تعبيرها عن طبيعة المجتمع العربي وثقافته وقيمهِ، مما يقود إلى إثبات صلتها به، وقد انتظم البحث في ثلاثة محاور: ضم الأول منها التعريف بـ (الصفة) لغةً واصطلاحاً، فضلاً عن التعريف بلفظة (البيت) في اللغة، وعُني المحور الثاني بالتعريف بعلم اللغة الاجتماعي، وتضمن المحور الثالث تحليل الآيات قيد الدرس، أعقبه خاتمة بأهم نتائج البحث. والحمد لله ولي النعم.

**الكلمات المفتاحية** : صلة ، تراكيب ، مجتمع .

* أُستاذ مساعد/ قسم اللغة العربيَّة/ كلية التربية للعلوم الإنسانيَّة/جامعة الموصل.

**مشكلة البحث:**

ثمة أسئلة يحاول هذا البحث الإجابة عنها وهي:

1- هل هناك صلة بين دلالة أوصاف البيت التي وردت في القرآن الكريم والمجتمع العربي والإسلامي؟

2- ما أثر دلالة أوصاف البيت في بيان مكانته عند المتلقي للخطاب القرآني؟

3- هل سيشير الوصف إلى ظهور دلالة جديدة للبيت تتصل بالمجتمع العربي وعقيدته؟

4- هل ستظهر دلالة وصف البيت ما حصل من تغيير في بعض عادات المجتمع العربي التي كانت سائدة في الجاهلية بعد ظهور الإسلام؟

5- هل ثمة مصطلحات جديدة سيظهرها وصف البيت في القرآن الكريم؟

6- هل حدث توسع في دلالة لفظة(البيت) عما هو معهود بتأثير الوصف؟

7- ما الصيغ التي ورد بها الوصف؟ أ هي واحدة أم متنوعة؟

**أهمية البحث:**

تكمن أهمية هذا البحث في تسليط الضوء على الأوصاف التي وردت بها لفظة (البيت) في عدد من آيات القرآن الكريم؛ لكون البيت يشكل اللبنة الأولى التي يتكون منها المجتمع، ولحاجة الدراسات اللغوية التي يكون ميدانها القرآن الكريم إلى مثل هذا النوع من الأبحاث.

**عينة البحث:**

تكونت عينة البحث من(12) آية قرآنية جاء فيها ذكر أوصاف (البيت) وقد شكلت الأساس الذي قام عليه هذا البحث.

**المحور الأَوَّل:**

**الصفة لغةً واصطلاحاً، البيت لغةً**

1)**الصفة لغةً:** الصفة من (وصف) و" الوَصْفُ: وَصْفُك الشيءَ بحِلْيَتِهِ ونَعْتِهِ. ويُقال للمُهْرِ إذا توجّهَ لشيءٍ من حُسْنِ السيّرةِ: قد وَصَفَ، معناه: أنّه قد وصفَ المشيَ أي وصفَهُ لمن

يُريدُ منه"[1]. والصِفةُ هي " الأمارةُ اللازمةُ للشيءِ... يُقالُ اتّصفَ الشيءُ في عين الناظرِ : احتمل أن يُوصَفَ"[2]، وذُكر أن الوصفَ " قد يكونُ حقاً وباطلاً " [3].

2) **الوصف اصطلاحاً:** الوصف "لفظ يتبع الاسم الموصوف تحليةً له وتخصيصاً ممن له مثل اسمه بذكر معنى في الموصوف أو في شيءٍ من سببه، ولا يكون الوصف إلّا من فعل أو راجعاً إلى معنى فعل"[4]، والوصف أو الصفة أيضاً " الاسم الدالّ على بعض أحوال الذات وذلك نحو ((طويل)) و ((قصير))، و ((عاقل)) و ((أحمق))... والذي تُساق له الصفة هو التفرقة بين المشتركين في الاسم، ويُقال إنها للتخصيص في النكرات، وللتوضيح في المعارف، والصفة والنعت واحد"[5]، ويستعمل التعبير " بالنعت عند الكوفيين والأكثر عند البصريين الوصف والصفة، وهو تابع مكمِّلٌ لمتبوعه لدلالته على معنىً فيه، أو في متعلّق به"[6].

(1) العين، أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي (175هـ)، تحقيق: الدكتور مهدي المخزومي والدكتور ابراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال – بيروت، (د. ط)، (د.ت) : 162/7 وينظر: لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين ابن منظور الأنصاري(711هـ)، دار صادر– بيروت، ط3، 1414هـ:356/9.

(2) مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا (395هـ)، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع – بيروت، (د. ط)،1399هـ – 1979م : 6/ 115.

(3) مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (425هـ)، تحقيق: صفوان عدنان داوودي، دار القلم – دمشق، الدار الشامية –بيروت، ط5، 1433هـ – 2011م:873.

(4) اللمع في اللغة العربية، أبو الفتح عثمان بن جنّي الموصلي (392هـ)، تحقيق: فائز فارس، دار الكتب الثقافية – الكويت، (د. ط)، (د.ت):82.

(5) شرح المفصل، موفق الدين بن أبي البقاء يعيش بن علي بن يعيش الموصلي (643هـ)، قدم له ووضع هوامشه وفهرسه: الدكتور أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ط1، 1422هـ – 2001م:232/2.

(6) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي (911هـ)، تحقيق: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، ط1، 1418هـ – 1998م:177/3.

وهكذا يتضح أن الوصف أو الصفة أو النعت مصطلحات تدل على شيء واحد وأن ثمة تقارباً بين معنى الوصف لغةً واصطلاحاً، إذ إنه يدل على أحد المعاني التي يحملها الاسم الموصوف.

**3) البيت لغةً:**

البيت أصله من (ب ي ت) " البَيْتُ من بُيوتِ الناسِ، وبَيْتٌ من أبياتِ الشِّعْرِ... وبَيَّتُ بيتاً أي بنيْتُه... وبَيّتُوا هذا العملَ بَياتاً أي عَمِلوهُ ليلاً... والبَيْتُوتةُ: دخولُك في الليلِ، تقولُ : بِتُّ أصنعُ كذا إذا كانَ بالليلِ، وبالنهارِ ظَلْتُ. ومن فسَّرَ باتَ على النوم فقد أخطأ، اَلا ترى أنك تقول : بِتُّ أراعي النجومَ معناه: بِتُّ أنظرُ إليها، فكيف نامَ وهو ينظرُ إليها؟... وأتاهم الأمرُ بَياتاً، أي أتاهم في جَوْف الليل. وباتَ يصلّي. والمبيتُ يجمع كلَّ المعاني"[1]، والبيتُ أيضاً " المأوى والمآب ومَجْمعُ الشملِ. يُقال بَيتٌ وبُيوتٌ وأَبياتٌ... والبيتُ : عِيالُ الرجلِ والذين يَبيتُ عندَهم... والبَيُّوتُ : الماءُ الذي يَبيتُ ليلاً"[2].

وهناك من ذكر أن البيت " مأوى الإنسان بالليل؛ لأنه يُقال : بات : أقام بالليل كما يُقال : ظلَّ بالنهار ثم قد يُقال للمسكن بيتٌ من غير اعتبارِ الليل فيه... لكنّ البيوت بالسكن أخصُّ... ويقع ذلك على المتّخَذِ من حجرٍ ومدرٍ وصوفٍ ووبرٍ "[3]. وذُكر أيضاً أن " البيت من الشَّعْرِ : ما زاد على طريقة واحدة، يقع على الصّغير والكبير، وقد يُقال للمبْني من غير الأبنية التي هي الأخْبيةُ بيتٌ، والخِباءُ : بيتٌ صغيرٌ من صوفٍ أو شَعرٍ، فإذا كان أكبرَ من الخِباء فهو بيتٌ، ثم مِظلّةٌ إذا كبرَتْ عن البيت وهي تسمّى بيتاً أيضاً إذا كان ضخماً مُروّقاً... وبيتُ الرجلِ: دارهُ، وبيتُه : مقرُّه "[4].

(1) العين: 138/8، 139.
(2) مقاييس اللغة: 34،35/1 .
(3) مفردات ألفاظ القرآن : 151.
(4) لسان العرب: 14/2.

وتعد لفظة (البيت) من الألفاظ المشتركة بين اللغات السامية[1] كالعربية والعبرية والآرامية والبابلية وغيرها. ومعلومٌ " أن البناء واختطاط المنازل إنما هو من منازع الحضارة التي يدعو اليها الترف والدَّعة وذلك متأخر على البداوة ومنازعها"[2]. ويعد بناء البيوت من أقدم صناعات العمران والحضارة، ولأن الإنسان قد فُطر على التفكير في عاقبة حاله، فمّما لا شك فيه أنه فكّر فيما يدفع الخطر والأذى عنه حمايةً لنفسه من الحرّ والقرّ والعدو؛ لذلك اتجه إلى بناء البيوت ذات السقوف والحوائط[3]؛ ليحقق الأمن والراحة والسكينة لنفسه في البيت.

**المحور الثاني: التعريف بعلم اللغة الاجتماعي**

علم اللغة الاجتماعي (Sociolinguistics) هو : "دراسة اللغة في علاقتها بالمجتمع"[4] فضلاً عن أنه " العلم الذي يحاول الكشف عن القوانين والمعايير الاجتماعية التي توضح وتنظم سلوك اللغة وسلوك الأفراد نحو اللغة في المجتمع"[5]. ويعد هذا العلم أحد فروع علم اللغة، وتعود جذوره إلى القرن التاسع عشر الذي بدأ فيه الاتصال بين البحوث اللغوية وعلم الاجتماع، وظهر مصطلح (علم اللغة الاجتماعي) إلى الوجود في الستينات من القرن العشرين[6].

---

(1) ينظر: التطور النحوي للغة العربية، ج. برجشتراسر، أخرجه وصححه وعلق عليه: الدكتور رمضان عبدالتواب، مكتبة الخانجي – القاهرة، ط2، 1414هـ – 1994م:209.

(2) مقدمة ابن خلدون، عبدالرحمن بن محمد بن خلدون (808هـ)، تحقيق: عبدالله محمد الدرويش، دار يعرب – دمشق، ط1، 1425هـ – 2004م : 8/2.

(3) ينظر: المصدر نفسه: 13/2.

(4) علم اللغة الاجتماعي، د. هدسون، ترجمة : د. محمود عياد، عالم الكتب – القاهرة، ط2، 1990م: 12.

(5) التفكير اللغوي بين القديم والجديد، د. كمال بشر، دار غريب للطباعة النشر– القاهرة، (د. ط)، 2005م: 195.

(6) ينظر: اللغة وعلوم المجتمع، د. عبده الراجحي، دار الصحابة – طنطا، ط1، 1434هـ – 2003م: 2003م: 8.

ويعود الفضل في تغيير النظرة إلى اللغة إلى العالم الأنثروبولوجي (مالينوفسكي)، الذي قام بدراسة عدد من المجتمعات البدائية، وتوصل من خلالها إلى أن للّغة وظيفة لا تقتصر على كونها وسيلة للتواصل، بل تتعدى ذلك لتكون جزءاً من السلوك البشري ونشاط الإنسان[1].

وقد انقسم العلماء في النظرة إلى الصلة بين علم اللغة وعلم الاجتماع على قسمين، فهناك من ذهب إلى أن علم اللغة يقوم على العناية بدراسة بنية اللغة وخواصها التركيبية وما يتصل بذلك من دون الالتفات إلى السياق الاجتماعي الذي يتم اكتساب اللغة فيه واستعمالها.

وقد تبنى هذا الرأي أصحاب المدرسة البنيوية التي كانت سائدة في بداية القرن العشرين فضلاً عن المدرسة التوليدية التحويلية في علم اللغة التي يتزعمها نعوم تشومسكي. أما الرأي الآخر القائل بأن اللغة تمتلك وظيفةً اجتماعيةً بوصفها أداة للاتصال وطريقة للتمييز بين مجاميع المجتمع وطبقاته المختلفة، وأن دراسة اللغة من دون الاعتماد على المجتمع الذي تنتمي إليه تعد دراسة غير دقيقة؛ لأنها تستبعد السياق الاجتماعي الذي يتيح تقديم العديد من التفسيرات الاجتماعية للأبنية والتراكيب المستعملة في تلك اللغة، فيمثل رأي ج. ر. فيرث صاحب مدرسة لندن وتلامذته مايكل هاليداي وتيرنس ميتشل وسواهما[2].

يقوم علم اللغة الاجتماعي بتطبيق المنهج الوصفي في علم اللغة في البحوث التي يجريها فضلاً عن وصف الظواهر الاجتماعية، فالتركيز في هذا المجال لا يكون قائماً على الجمل التي ترد في الخطاب، بل على التتابع في الجمل، وما يقوم به علم اللغة ها هنا هو اكتشاف " الترابط اللغوي" الكامن في النصوص، أما دور الأنثروبولوجيا الاجتماعية فهو معرفة بناء التبادل الكلامي بشكل مباشر، والتوصل إلى فهم تراكيب الخطاب التي تظهر في الموقف الكلامي مما يتطلب تشخيص الظروف الشخصية والثقافية لذلك

(1) ينظر : اللغة والمجتمع رأي ومنهج، د. محمود السعران– الاسكندرية، ط2، 1963م : 17.
(2) ينظر: علم اللغة الاجتماعي: 15، 16.

الموقف. وينبغي في دراسة أنواع الخطاب التعرف إلى الدلالات التي تحملها الصلات الاجتماعية[1].

أما مجال البحث في علم اللغة الاجتماعي فهو واسع يمتد ليشمل " دراسة الواقع اللغوي في أشكاله المتنوعة باعتبارها صادرة عن معانٍ اجتماعية وثقافية مألوفة وغير مألوفة ويشمل أيضاً كل ما يتعلق بالعلائق بين اللغة والمجتمع مدخلاً في الاعتبار كل الميادين التي نعثر عليها مع علم الأعراق البشرية (Ethnology) وأيضاً طرائق التكلم، وموقف المتكلم والمخاطب، واللهجات المحلية، ومشكلات الاتصال اللغوي، وقضايا التعدد اللغوي، وتحليل الخطاب السياسي أو الأدبيّ أو الديني أو الإعلاميّ... والازدواجية اللغوية"[2] إلى غير ذلك .

ولعل ما يشير إلى عمق الصلة بين اللغة والمجتمع هو أن " اللغة مرآة ينعكس فيها كذلك ما يسير عليه الناطقون بها في شؤونهم الاجتماعية العامة. فعقائد الأمة وتقاليدها وما تخضع له من مبادئ في نواحي السياسة والتشريع والقضاء والأخلاق والتربية وحياة الأسرة وميلها إلى الحرب أو جنوحها إلى السلم... كل ذلك يصبغ اللغة بصبغة خاصة في جميع مظاهرها : في الأصوات والمفردات والدلالة والقواعد والأساليب"[3].

وتعد اللغة "وظيفة اجتماعية وطريقة من العمل، فما من شك في أن مما يعيننا على فهم طبيعة اللغة وجوهرها حق الفهم أن ننظر إلى الدور الذي تقوم به في حياة الفرد، وفي حياة الجماعة التي يؤلف بين أفرادها الحديث بلغة مشتركة وفي حياة النوع الإنساني عامة"[4].

(1) ينظر: اللغة وعلوم المجتمع: 11.

(2) علم اللغة الاجتماعي عند العرب، د. هادي نهر، ط1، ساعدت الجامعة المستنصرية على طبعة، ط1، 1409هـ – 1988م : 24.

(3) اللغة والمجتمع، د. علي عبدالواحد وافي، منشورات دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه – القاهرة، (د. ط) 1365هـ – 1946م:10.

(4) اللغة والمجتمع رأي ومنهج : 24.

ومما لا شك فيه أن اللغة تلج إلى مناحي الحياة كلها؛ لذلك تعد نشاطاً اجتماعياً يلتقي مع ما يدعوه (سابير) – ( أحد رواد المدرسة اللغوية الأمريكية) – بالتشارك الاجتماعي، فاللغة تقوم بالإفصاح عن قيم الحضارة والمجتمع الذي تنتمي إليه، فضلاً عن الصلات التي تجمع بين أشخاص ذلك المجتمع. وقد عدّ علماء علم اللغة الاجتماعي اللغة جزءاً من الحضارة التي تمثل جميع نشاطات الحياة من الطعام واللباس والمسكن والعادات والتقاليد والمعتقدات وسوى ذلك ووجهّوا الأنظار إلى دراستها ضمن مجال هذا العلم[1].

وحريّ بالقول إن بعضاً من علمائنا القدامى قد تطرق إلى عدد من المسائل التي تصل بين اللغة والمجتمع في متون عدد من مصنفاتهم التي وصلتنا، منها ما ذكره الجاحظ (255هـ) من أن التواصل مع المخاطبين ينبغي أن يكون بما يفهمونه ممّا هو شائع ومعهود عندهم من دون الأخذ بالحسبان صحته بالقياس إلى النظام اللغوي للعربية، ولعل ذلك يتفق مع ما ذُكر آنفاً من مبدأ (الشيوع اللغوي) عند سابير؛ لذلك وجدنا الجاحظ (255هـ) يجيز الرواية من نوادر العوام على ما تتضمنه من اللحن والخطأ حين ترد على لسان قائليها مراعاة لحال المتكلم ومناسبة الكلام[2].

وتعد اللغة علامة طبقية مميزة، ففي المجتمع اللغوي الواحد يُلحظ اختلاف لغة كل طبقة في المجتمع عن غيرها، فلغة المتعلمين تختلف عن لغة الأميين، والمتعلمون يختلفون فيما بينهم في اللغة على حسب مستوى التعليم والمهنة والغنى إلى غير ذلك، وأيضاً لغة الطلاب والموظفين والتجار وغيرهم، فتبدو اللغة أشبه ببصمات أصابع اليد التي تميز بين الأشخاص وتحدد هويتهم[3].

وهذا المذكور آنفاً قد تنبّه إليه لجاحظ حين قال : " وكما لا ينبغي أن يكون اللفظ عامياً وساقطاً وسوقياً فكذلك لا ينبغي أن يكون غريباً وحشياً إلّا أن يكون المتكلم

(1) ينظر: علم اللغة الاجتماعي عند العرب: 26.

(2) ينظر: البيان والتبيين : أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ (255هـ)، دار ومكتبة الهلال –بيروت، (د. ط)، 1433هـ : 136/1.

(3) ينظر: اللغة والمجتمع رأي ومنهج: 58.

بدوياً أعرابياً، فإن الوحشي من الكلام يفهمه الوحشي من الناس كما يفهم السوقي رطانة السوقي. وكلام الناس في طبقات كما أن الناس أنفسهم في طبقات. فمن الكلام الجزل والسخيف والمليح والحسن والقبيح والسمج... وكله عربي وبكلٍّ قد تمادحوا وتعايبوا"[1]. وقد ذكر شيئاً من اختلاف لغة العامة عن الخاصة. والعوام في نظره هم العرب الذين لم يبلغوا المنزلة التي بلغها الخاصة، فهم دونهم في المكانة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، فضلاً عن أن الخاصة يتفاضلون فيما بينهم في طبقات برأيه[2].

وبالتأمل فيما نُقل عن الجاحظ نرى أنه يتفق مع الحقائق التي يدعو إليها علم اللغة الاجتماعي. من ذلك مراعاة المتكلم للمخاطب ليحصل الإفهام ومن ثَمّ التواصل. وأيضاً التوافق الذي ينبغي أن يكون بين البنية الاجتماعية والبنية اللغوية، فأي تغيير في البيئة الاجتماعية تظهر آثاره في اللغة؛ لأن المجتمع بطبيعته ينقسم على طبقات لكل منها لغتها الخاصة بها، فضلاً عن ذلك نستشف حقيقة أخرى هي إشارته إلى مناسبة اللغة للمقام أو سياق الموقف عند مالينوفسكي حين تحدث عن اختلاف نوع الكلام الذي يستعمل في المدح والقدح أي على حسب السياق.

**المحور الثالث: تحليل الآيات**

**1.** في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران: 96] وردت لفظة (البيت) موصوفة بالجملة الفعلية (وُضع للناس) للإشارة إلى المسجد الحرام بدليل قوله تعالى : ((لَلَّذِي بِبَكَّةَ )).

و(وُضِعَ) أصله من (و ض ع) " أصلٌ واحدٌ يدّل على الخَفْضِ للشيء وحَطِّه. ووضعْتُهُ بالأرضِ وَضْعاً... ووُضِعَ في تجارته يُوْضَعُ : خَسِرَ "[3]. وذكر أن " الوضّعَ أعمُّ من الحَطِّ، ومنه المَوْضِعُ... و وَضْعُ البيتِ : بناؤُهُ"[4]. وأيضاً فإن " الوَضْعَ ضِدُّ الرفْعِ،...

(1) البيان والتبيين: 135/1.

(2) ينظر: المصدر نفسه: 137/1.

(3) مقاييس اللغة: 117/6.

(4) مفردات ألفاظ القرآن: 874.

ووضَعَ الشيءَ في المكانِ : أَثْبَتَهُ فيه وتقول في الحجَرِ واللَبْنِ إذا بُنيَ به: ضَعْه غير هذه الوَضْعَةِ والوِضْعةِ والضِّعَةِ كلُّه بمعنىً" [1].

وقد ذكر في سبب نزول هذه الآية أن المسلمين واليهود تفاخروا فيما بينهم، فقالت اليهود : بيت المقدس أعظم من الكعبة وأفضل؛ لأنه يقع في الأرض التي تعد أرض الأنبياء ومهاجرهم، وردّ المسلمون بالقول : إن الكعبة خيرٌ منه، فأنزل الله تعالى هذه الآية [2]، وإيراد سبب النزول هنا يأتي بكونه حقيقة خارجة عن النص لكنها تلقي الضوء على المعنى المراد لاعتبار اجتماعي. والمراد من هذه الآية وصف المسجد الحرام أو الكعبة المشرفة بأنها أول بيت في الأرض بُني وأسس لعبادة الله تعالى فيه، فهو المكان المعدّ للطواف والنُسك وسوى ذلك لتعظيم المولى حق التعظيم[3].وواضع البيت هو المولى تعالى يؤكد ذلك قراءة "عكرمة وابن السميفع ((وَضَعَ)) مبنياً للفاعل"،[4]أي أن البارئ (ﷻ) جعل هذا البيت المبني مُتعّبداً للبشر، وذُكر أن إبراهيم الخليل (عليه السلام) هو أول من بناه ثم بُني بعده المسجد الأقصى وبينها أربعون سنة كما رُوي عن النبي(ﷺ)[5]

"وكونه موضوعاً للناس يقتضي كونه مشتركاً فيه بين جميع الناس... وكون البيت مشتركاً فيه بين كل الناس لا يحصل إلا إذا كان البيت موضوعاً للطاعات والعبادات... فيدخل

(1) لسان العرب: 396/8، 399.

(2) ينظر: معالم التنزيل في تفسير القرآن، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (516هـ)، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط1، 1426هـ : 471/1.

(3) ينظر: جامع البيان في تأويل آي القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (310هـ)، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط1، 1420هـ – 2000م :22/6.

(4) معجم القراءات ، د. عبد اللطيف الخطيب ، دار سعد الدين للطباعة والنشر والتوزيع – دمشق ، ط1 ،1422– 2002 م :574/1.

(5) ينظر: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (538هـ)، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (د. ط)، (د.ت):414/1.

فيه كون هذا البيت قبلةً للصلوات وموضعاً للحج ومكاناً يزداد ثواب العبادات والطاعات فيه"[1].

وإطلاق الفعل (وُضِع) هاهنا إنما هو " لمعنى الإدناء للمتناول والتهيئة للانتفاع... والمقصود إثبات سبق الكعبة في الوجود قبل بيوت أخر من نوعها... وأنه لو كان بيت سُكنى لقيل: وضعه الناس، وبقرينة مجيء الحالين في قوله : مباركاً وهدىً للعالمين"[2].

ويبدو أن وصف البيت بالجملة الفعلية (وُضع للناس) قد أظهر ملمحاً دلالياً هو عبادة الله تعالى التي أساسها التوحيد، فبالنظر إلى هذا الوصف نرى أنه يتضمن معنيين : أحدهما : معنى البناء والتأسيس للمسجد الحرام ليكون مكاناً للعبادة منذ قرون عديدة تمتد في عمق التاريخ من لدن إبراهيم (عليه السلام) وحتى يومنا هذا ، والآخر هو : معنى جمع الناس في مكان واحد هو المسجد الحرام، فبهذا الوصف تحوّل البيت من كونه دالاً على السكن إلى معنى بيت العبادة، فجاءت لغة القرآن الكريم لتعبر عن واقع اجتماعي يعيشه الإنسان ألا وهو العبادة، بوصفها جزءاً من نشاط الإنسان وقيمه الروحية، وكل ذلك يتصل بالحياة الاجتماعية. فبناء المسجد الحرام في مكة كوّن مجتمعاً منذ القدم – ولا يزال – له خصائصه وسماته التي تميّزه عن غيره، إذ يشكل هذا الموضع مكاناً لاجتماع الناس – على اختلاف أعراقهم – الذين يقصدونه منذ قرون عديدة لأداء العبادة فيه البدنية منها والروحية، ففي الجاهلية كانت العرب تقصده للحج على الرغم من إشراكهم بالله، فكان مكان العبادة الأعظم لديهم، ثم جاء الإسلام ودخل الناس فيه عرباً وعجماً، فازدادت قيمة هذا البيت، إذ أصبح قبلة للصلاة ومقصداً للحجيج والمعتمرين وموئلاً للذكر والتسبيح لا يضارعه في ذلك أحدٌ، والمذكور كله يتصل بأقرب الأسباب إلى المجتمع.

---

([1]) التفسير الكبير( مفاتيح الغيب)، أبو عبدالله محمد بن عمر الرازي (606هـ)، دار إحياء التراث العربي– بيروت، ط3، 1420هـ – 1999م : 295/8.

(2) التحرير والتنوير، محمد بن الطاهر بن محمد بن عاشور (1393هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، (د. ط)، 1984م: 12/4، 13، 14.

2. ورد البيت موصوفاً بـ (الحرام) في الآية الكريمة :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحِلُّواْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ وَلَا ٱلشَّهۡرَ ٱلۡحَرَامَ وَلَا ٱلۡهَدۡيَ وَلَا ٱلۡقَلَٰٓئِدَ وَلَآ ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّن رَّبِّهِمۡ وَرِضۡوَٰنٗا ﴾ [ المائدة: 2] ولفظة (الحرام) أصلها من (ح رم) " الحَرَمُ : حَرمُ مكةَ وما أحاط بها إلى قريبٍ من المواقيت التي يُحرِمون منها مفصول بين الحِلّ والحَرَمِ بمنىً... والحُرْمةُ : مالا يَحِلَّ لك انتهاكُه وتقول : فلانٌ له حُرْمةٌ أي تحرّمَ منا بصُحبةٍ وبحقٍ، والحَرامُ : ضدُّ الحَلالِ"[1]، ويدلُّ أيضاً على " المنعِ والتَشديدِ... وأحرمَ الرجلُ بالحجِّ؛ لأنه يَحرُمُ عليه ما كان حلالاً له من الصيدِ والنساءِ وغير ذلك"[2] .

والمراد بالبيت الحرام هنا الكعبة، فجاء النهي عن تحليل حرمات الله وشعائره والتهاون بإحداث ما يغضب الله تعالى أو التعرض بسوءٍ لقاصدي الكعبة[3] . وقد عُرف عن العرب في جاهليتهم خوض غمار الحروب والقتال إلاّ في الأشهر الحرم فإنهم كانوا يوقفون القتال فيها لحرمة تلك الأشهر، فإذا انتهت عادوا إلى حالهم من الغزو يتعرض بعضهم إلى بعض إلاّ أن يكونوا محرمين قاصدين الكعبة، فحينئذ لا يُتعرضَّ لهم، فجاء أمر الله للمسلمين بتقرير هذا المعنى، وإن يكن قد نُسِخ فيما بعد لحرمة دخول المشركين إلى الكعبة لقوله تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَا ﴾ [التوبة: ٢٨] [4].

ولنا أن نستعين بما وصلنا من شعر العرب في الجاهلية ليتضح استعمالهم للتركيب الوصفي (البيت الحرام) دالّاً على الكعبة، من ذلك قول الحُصين بن الحمام المرّي:

**لَنَا الرُّبْعُ مِنْ بَيتِ الحَرامِ وِراثةً وَرُبْعُ البِطاحِ عندَ دارِ ابنِ حَاطِبِ**[5]

(1) العين: 221/3، 222، 223، وينظر: لسان العرب: 119/12.

(2) مقاييس اللغة : 2/ 45.

(3) ينظر: الكشاف: 1/ 636.

(4) ينظر: التفسير الكبير: 11/ 281.

(5) الحصين بن الحمام المري الفارس والشاعر ( سيرته وشعره)، جمع وتحقيق: الدكتور شريف علاونة، دار المناهج – عمان – الأردن، (د. ط)، 2000م : 105.

وقول كرب بن جبلةَ العدواني واصفاً الطواف السريع حول الكعبة على ظهور الإبل :

**فطوَّفْنَ بالبيتِ الحَرامِ وقُضّيْتْ مَناسِكُها ولم تُحَلَّ عِقالَها[1]**

وبذلك يظهر أن وصف البيت بـ (الحرام) قد أعطى ملمحاً دلالياً مهماً هو تعظيم الكعبة وتقديسها الذي كان من أهم التقاليد والأعراف التي كانت متجذّرةً في المجتمع العربي في العصر الجاهلي والتي انعكست في تصرفاتهم وسلوكهم ، وبمجيء الإسلام فقد جرى تأكيد هذا المعنى وتقريره بآيات من القرآن الكريم تُتلى آناء الليل وأطراف النهار.

ولعل ما يعزز المعنى المشار إليه تكرار وصف البيت بـ (الحرام) في آية أخرى من قوله تعالى : ﴿ جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ ٱلْبَيْتَ ٱلْحَرَامَ قِيَٰمًا لِّلنَّاسِ وَٱلشَّهْرَ ٱلْحَرَامَ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ﴾ [المائدة: ٩٧] فجاء التصريح هنا بأن البيت الحرام هو الكعبة، فالبيت الحرام " عطف بيان على جهة المدح لا على جهة التوضيح كما تجيء الصفة كذلك"[2]، أو بدل من الكعبة، فتكون الفائدة من مجيء البدل أو عطف البيان لتبيين هذا البيت من غيره فيكون للتوضيح ليتميز عن الكعبة اليمانية التي سمّاها بذلك بنو خثعم في الجاهلية[3].

ويمكن أن يكون القصد من هذا البيان " التنويه والتعظيم، إذ شأن البيان أن يكون موضحاً للمُبيَّن بأن يكون أشهر من المبيّن، ولما كان اسم الكعبة مساوياً للبيت الحرام في الدلالة على هذا البيت فقد عُبّرَ به عن الكعبة... ووجه دلالة هذا العَلم على التعظيم هو ما فيه من لمح معنى الوصف بالحرام قبل التغليب، وذكر البيت هنا لأن هذا الموصوف مع هذا الوصف صار علماً بالغلبة على الكعبة... فوصف شيء بحرامٍ مبالغة

(1) مجمع الأمثال، أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني (518هـ)، قدّم له وعلّق عليه: نعيم حسين زرزور، دار الكتب العلمية – بيروت– ط3، 2010م : 216/2.

(2) الكشاف : 1/ 714.

(3) ينظر: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي (756هـ)، تحقيق: الدكتور أحمد محمد الخراط، دار القلم – دمشق، (د. ط)، (د.ت) : 431/4.

في كونه ممنوعاً. ومعنى وصف البيت بالحرام أنه ممنوع من أيدي الجبابرة فهو محترم عظيم المهابة وذلك يستتبع تحجير وقوع المظالم والفواحش فيه" [1].

وهذه الآية الكريمة متصلة بما تقدمها، ووجه الاتصال هو ما احتوته الآية السابقة من تحريم الصيد على المُحْرِم، فيكون الحرم بذلك سبباً في حصول الوحش والطير على الأمن، فضلاً عن كونه سبباً في توفير الأمان للناس، إذ كانت الحروب والغارات تغشى الناس في كل بلاد العرب إلّا في مكة التي كان ينعم أهلها بالأمان على الدوام، حتى كان الرجل من العرب إذا لقي قاتل أبيه أو ابنه في الحرم تركه من دون التعرض له بسوء[2].

وبذلك تأكد ما حمله التركيب الوصفي (البيت الحرام) من معنى الحرمة والتعظيم للكعبة، والذي عبّرت عنه لغة القرآن الكريم ليكون ذا صلة وثقى بالمجتمع العربي ومن ثم الإسلامي، فقد غدا هذا المعنى قائماً ثابتاً في نفوس المسلمين – ومن قبلهم العرب في جاهليتهم – فلا مجال لانتهاك الحقوق في البيت الحرام بالمظالم وسواها فضلاً عن حرمة القتال فيه مما يقود إلى شيوع الأمن والسلم الذي أدّى إلى الازدهار الاقتصادي لمجتمع مكة وأهلها منذ القدم وحتى يومنا هذا.

وما يتصل بهذا المعنى قوله تعالى على لسان إبراهيم (عليه السلام): ﴿ رَبَّنَآ إِنِّيٓ أَسۡكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيۡرِ ذِي زَرۡعٍ عِندَ بَيۡتِكَ ٱلۡمُحَرَّمِ ﴾ [إبراهيم: 37 ] حين أسكن ولده اسماعيل (عليه السلام) وأمه السيدة هاجر في مكة، فجاء وصف البيت بـ ( المُحرَّم) بصيغة اسم المفعول، أي: إنَّ الله تعالى هو الذي حرّمه وفي ذلك أوجه منها " أن الله حرّم التعرض له والتهاون به ، وجعل ما حوله حرماً لمكانه، أو لأنه لم يزل ممنّعاً عزيزاً يهابه كل جبار كالشيء المحرّم الذي حقه أن يُجتنب، أو لأنه عظيم الحرمة لا يحل انتهاكها، أو لأنه حُرّم على الطوفان أي مُنع منه"[3]، فضلاً عما ذُكر من أن الله حرّم على القاصدين إليه أموراً كانت

(1) التحرير والتنوير: 55/7.
(2) ينظر: التفسير الكبير: 440/12،439.
(3) الكشاف: 2/ 524.

تحل لهم قبل احرامهم، وتحريم إراقة الدماء فيه[1]. ومما زاد من توقير هذا البيت وتعزيز مكانته في نفوس العرب ما عاينوه من هلاك من أراد به السوء ومنهم أصحاب الفيل[2].

وهكذا نجد أن الوصف جاء ليقرر معنى حرمة الكعبة وعظم مكانتها من لدن إبراهيم (عليه السلام) ومن سبقه؛ لأن السياق يشير إلى معرفة الخليل (عليه السلام) المسبقة بحرمة مكة ولذلك لجأ اليها مع زوجته وابنه لتكون الملاذ والملجأ والوطن لهما وما استتبع ذلك من بناء الكعبة المشرّفة وتكاثر ذرية إسماعيل (عليه السلام)، ومن ثم قيام مجتمع مكة واكتسابها الحرمة من وجود الكعبة فيها. وكما أن البيت هو ملجأ الإنسان الذي يوفر الأمان له، فكذلك البيت هو الملاذ لقاصديه ولمن يعيش في ربوعه، فجاء خطاب إبراهيم (عليه السلام) للمولى تعالى متضمناً الوصف المذكور لإظهار حاجته إلى مولاه لرعاية ابنه وزوجته؛ ولتصبح مكة المكان الأكثر أمناً في العالم بأجمعه بوجود الكعبة فيها على مدى العصور وحتى قيام الساعة لتتميز بذلك عن المجتمعات كلها.

3. في قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلَ لَكُمْ مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [النحل : 80]، وصفت لفظة (بيوتاً) بالجملة الفعلية (تستخفونها)، والضمير (الهاء) فيها عائد إلى (بيوتاً).

و(تستخفونها) من (خ ف ف) " والخِفُّ: كلُّ شيءٍ خفَّ مَحْمَلُه. والخِفَّةُ: خِفَّةُ الوزنِ، وخِفَّةُ الحالِ. و خِفَّةُ الرجلِ : طَيشُه، وخِفَّتهُ في عمله. والفعل في ذلك كلّه: خَفَّ يَخِفُّ خِفَّةً فهو ضعيفٌ... وأخفَّ الرجلُ: قلَّ ثَقَلُهُ في سفرٍ أو حضرٍ " [3] وذكر أيضاً أن " الخفيف : بإزاء الثقيلِ... وخِفُّ المتاع: الخفيفُ منه"[4]، ويقال أيضاً : " استخَفَّه: طلبَ خِفَّتَه... واستخفَّه : رآه خفيفاً"[5].

(1) ينظر: التفسير الكبير: 104/19.

(2) ينظر: التحرير والتنوير: 214/13.

(3) العين : 4/ 14 وينظر: مقاييس اللغة : 2/ 154.

(4) مفردات ألفاظ القرآن: 288، 289.

(5) لسان العرب: 80/9.

والمراد بالبيوت التي ذُكرت في الآية الكريمة هي الأخبية والقباب والخيم والفساطيط وسواها التي تُعمل من الأنطاع والشعر والوبر والصوف وغير ذلك من جلود الحيوانات، وتكون خفيفة الحمْل على ساكنيها من الأعراب والبدو في تنقلهم وسفرهم بحثاً عن الكلأ والماء، وحين تستقر بهم الحال أيضاً[1]، فدلّ ذلك على الحياة غير المستقرة . وهذه البيوت تختلف عن تلك التي يسكنها أهل القرى والمدن والتي يكون بناؤها من الأحجار والطين، وقد يستعمل فيها الخشب والقصب وتكون مغطاة بالسقوف ومحاطةً بالجدران[2]، فيكون بناؤها موحياً بالاستقرار والثبات في المكان بخلاف ما سبق ذكره من بيوت البدو التي تدل على الحلّ والترحال.

ومعلومٌ " أن البداوة أقدم من الحضارة والبدو أصل للمدن والحضر. والبدو هم المقتصرون على الضروري في أحوالهم العاجزون عمّا فوقه، وأن الحضر المعتنون بحاجات الترف والكمال في أحوالهم وعوائدهم، ولاشك أن الضروري أقدم من الحاجيّ والكمالي وسابق عليه"[3].

لقد كشف وصف البيت في الآية الكريمة عن جانب من جوانب الحياة الاجتماعية للعرب في الجاهلية وبعد مجيء الإسلام، فدلّ على أن الحياة في ذلك المجتمع لم تكن مستقرة، فكان الناس في حلّ وترحال، وبدا أثر البيئة واضحاً في لغة ذلك المجتمع، فجاءت لغة القرآن الكريم معبّرة –من خلال وصف البيوت بالخفة وسهولة الحمل– عن طبيعة المجتمع العربي البدوي الصحراوي ذي البيئة القاسية التي فرضت عليه كثرة التنقل سعياً وراء مصادر الحياة من ماء وكلأ، وجاء التذكير في هذه الآية بنعمة الله عليهم إذ هيّأ لهم سبل اتخاذ البيوت من مواد متوافرة في محيطهم فحازوا بذلك الراحة والمأوى.

(1) ينظر: التفسير الكبير: 252/20.
(2) ينظر : التحرير والتنوير: 237/14.
(3) مقدمة ابن خلدون: 247/1.

4. جاء وصف البيت بشبه الجملة (من زخرفٍ) في قوله تعالى على لسان مشركي قريش: ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ ۗ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا﴾[الإسراء: 93 ].

ويعني الزُخْرف " الزينةُ، وبيتٌ مُزَخْرَفٌ، وتَزَخْرَفَ الرجلُ : تزيّنَ والزُخْرُفُ الذهبُ. والزخارفُ: ما يُزخرَفُ من السُفنِ"[1] ،وذكر في معناه أيضاً " وزَخرفَ البيتَ زخْرفَةً: زَيّنَهُ وأكملَهُ، وكلُّ ما زُوِّقَ وزُيّنَ فقد زُخرِفَ" [2].و(من) هنا لبيان الجنس.

والآية الكريمة إخبار عن رفض مشركي قريش الإيمان برسالة النبي (ﷺ) حين ألزمهم الحجة، فبدأوا بتوجيه اقتراحات إليه تحمل في طياتها (التعجيز)، فاشترطوا تحقيق إحداها كي يؤمنوا، منها أن يكون للنبي(ﷺ) بيت من ذهب[3]. وذُكر أن " القائل هم عتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأبو سفيان بن حرب، والأسود بن عبدالمطلب، زمعة بن الأسود، الوليد بن المغيرة، أبو جهل بن هشام، عبدالله بن أبي أمية وأمية بن خلف"[4].

والحق أن اللغة " وإن كانت نشاطاً جماعياً لشعب واحد أو أمة واحدة، لكن مستوياتها تتعدد وتتنوع تبعاً لعدد الناطقين بها، وتنوع ثقافاتهم وطبقاتهم الاجتماعية"[5]. ويمثل المقام أو السياق الجانب الاجتماعي الذي يعد ضرورياً للوصول إلى فهم الدلالة، ويتضمن المتكلم والمخاطب والصلات الاجتماعية والأحداث التي جرت في السابق وفي الزمن الحالي والقيم والاعتقادات والفلكلور وسوى ذلك[6].

ويبدو واضحاً أثر السياق الاجتماعي في استعمال الوصف الذي ورد للبيت في هذا الموضع، فحين نتأمل الخطاب الذي احتوته الآية الكريمة فإننا سنجد أن المتكلمين

(1) العين: 4/ 338 ، وينظر : مقاييس اللغة : 55/3.
(2) لسان العرب: 133/9.
(3) ينظر: الكشاف: 2/ 648 ، التفسير الكبير: 409/21.
(4) التحرير والتنوير: 206/15.
(5) علم اللغة الاجتماعي عند العرب: 165.
(6) ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها، الدكتور تمام حسان، عالم الكتب – القاهرة، ط5، 1427هـ – 2006م : 342، 352.

هم علية القوم في مكة وأصحاب الثراء والجاه الذين ينتمون إلى المجتمع المكي الذي عُرف بالفوارق الطبقية فيه، فانعكس ذلك على استعمالهم للألفاظ الخاصة بالوصف التي جاءت دالة على الثراء والغنى والفخامة حين طلبوا من الرسول (ﷺ) أن يكون له بيت من ذهب، لاسيمّا أن القوم من كبار التجار الذين اعتادوا السفر في رحلتي الشتاء والصيف إلى اليمن والشام، فحازوا بذلك الاطلاع على مظاهر العمران والقصور والبيوت الفخمة في تلك البلاد، فضلاً عن أن المخاطب وهو النبي (ﷺ) كان ممن يقصد الشام للتجارة وقد تسنى له الاطلاع على ما في تلك البلاد من مظاهر الحضارة والترف، لذلك جاء الخطاب القرآني بالتركيب الوصفي متساوقاً مع كل ما ذكر.

5. جاء قوله تعالى:﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾ [الحج : 29] متضمناً وصف البيت بـ (العتيق) و(العتيق) أصله من (ع ت ق )" أصل صحيح يجمع معنى الكرم خِلْقَةً وخُلُقاً ومعنى القِدم... عَتَقَ العبدُ يُعْتَقُ عَتَاقاً وعتَاقَة وعُتُوقاً، وأعتقه صاحبه إعْتاقاً... وامرأةٌ عتيقةٌ أيضاً أي جميلةٌ كريمةٌ. وفرسٌ عتيقٌ: رائعٌ بيِّنُ العِتْقِ... والعتيقُ أيضاً : الكريمُ من كلّ شيءٍ. وقد عَتَقَ وعَتُقَ إذا أتى عليه زمنٌ... والبيتُ العتيقُ : الكعبةُ، لأنه أولُ بيتٍ وُضِع للناس"[1].

ووَصْف بيت الله الحرام ب (العتيق) ليس بالجديد، فقد عرفه العرب في جاهليتهم وذكروه في أشعارهم ومنه قول زهير بن أبي سُلمى:

**وباللّاتِ والعُزّى التي يعبدونها بمكةَ والبيتِ العتيقِ المُكَّرمِ[2]**

وذكر في الموصوف (العتيق) معانٍ عديدة منها : أن الله تعالى أعتقه من الجبابرة فلم يتمكنوا من تخريبه أو الحاق الأذى به، أو أنه لم يتسنَّ لأحد من البشر

(1) مقاييس اللغة: 4/ 219، 210 وينظر: مفردات ألفاظ القرآن: 545.

(2) ديوان زهير بن أبي سُلمى، شرحه وقدم له : علي حسين فاعور، دار الكتب العلمية – بيروت، ط1 –1408هـ – 1998م:105.

امتلاكه قط ، أو أنه وصف بذلك لقدمه[1]، أو أنه بيت كريم، والمراد بالطواف المذكور في الآية هو طواف الإفاضة الذي هو من أركان الحج[2].

ولعل وصف البيت بالعتيق قد جمع كل المعاني المذكورة سابقاً، فجاء معبراً عن المجتمع العربي الذي يعد هذا البيت الموغل في عمق التاريخ جزءاً من تاريخه وما ارتبط به من شعائر دينية تقام حوله سنوياً عرفها العرب قديماً وهي شعائر الحج ومنها الطواف حول البيت، وحين جاء الإسلام زادت مكانة البيت الحرام في النفوس واتسعت لتشمل مجتمعات أخر غير عربية ولتصبح شعائر الحج والعمرة جزءاً لا يتجزأ من عبادة المسلمين.

وتكرر وصف بيت الله بـ (العتيق) في قوله تعالى : ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴾ [الحج : 33] والحديث هنا عن شعائر الله التي قُصِد بها (الهَدْي) الذي يساق إلى الكعبة، فيكون نحرها ونهاية أمرها في الحرم؛ لأن المقصود بالبيت العتيق هاهنا الحرم بأجمعه، لكن الكعبة تنزّهت عن إراقة الدماء فيها، فليس فيها ثمة نحر إنما يكون ذلك في منىً إكمالاً لشعائر الحج بقصد التقرب إلى المولى تعالى وتعظيماً لشأن الكعبة[3].

لقد ورد التركيب الوصفي (البيت العتيق) في سياق الحديث عن إحدى شعائر الحج وهي نحر الهَدْي الذي يعود بالأصل إلى افتداء جد العرب الخليل(عليه السلام) ابنه إسماعيل (عليه السلام) بذبيحة ذكرها القرآن الكريم بقوله : ﴿ وَفَدَيْنَاهُ بِذِبْحٍ عَظِيمٍ ﴾ [الصافات : 107] و التي انتقلت إلى أحفاده العرب وأصبحت جزءاً من عبادتهم، ثم جاء الإسلام ليكون هو الأحق في القيام بهذه الشعيرة وأدائها على خير ما يكون، فأصبح الوصف معبراً عن معاني الكرم والأصالة والقدم التي ارتبطت ببيت الله ولازمته.

(1) ينظر: جامع البيان: 614/8، التحرير والتنوير : 250/17.
(2) ينظر: الكشاف: 3/ 154.
(3) ينظر: التفسير الكبير: 224/23 والتحرير والتنوير : 258/17.

6. في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتًا غَيۡرَ بُيُوتِكُمۡ حَتَّىٰ تَسۡتَأۡنِسُواْ وَتُسَلِّمُواْ عَلَىٰٓ أَهۡلِهَاۚ ﴾ [النور: ٢٧] ورد التركيب الإضافي (غَير بيوتكم) صفة لـ ( بيوتاً) المذكورة في الآية الكريمة. جاء في سبب نزول هذه الآية " أن امرأة من الأنصار قالت : يا رسول الله إني أكون في منزلي على الحال التي لا أحب أن يراني أحد عليها والدٌ ولا ولد، وأنه لا يزال يدخل عليّ رجل من أهلي وأنا على تلك الحال" [1]، فاتضح بذلك أن ثمة حاجة اجتماعية استدعت نزول هذه الآية، وقد كان من عادة أهل الجاهلية إذا دخل أحد منهم بيتاً ليس ببيته أن يقول : "حييتم صباحاً وحييتم مساءً ثم يدخل، فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف واحد، فصدّ الله عن ذلك وعلّم الأحسن والأجمل"[2]. فجاء الإسلام لتعليم الناس آداب الاستئذان حين يحصل التزاور فيما بينهم لزرع تلك الآداب في المجتمع الإسلامي الجديد لتكون جزءاً منه. وقد كان الاستئذان " يختلف شكله باختلاف حال المستأذَن عليه من ملوك وسوقة فكان غير متماثل، وقد يتركه أو يقصّر فيه من لا يهمّه إلّا قضاء وطْره وتعجيل حاجته، ولا يبْعُد بأن يكون ولوجه محرجاً للمزُور أو مُثقِلاً عليه، فجاءت هذه الآيات لتحديد كيفيته وإدخاله في آداب الدين حتى لا يُفرّط الناس فيه أو في بعضه باختلاف مراتبهم في الاحتشام والأنفة واختلاف أوهامهم في عدم المؤاخذة أو في شدتها. وشُرع الاستئذان لمن يزور أحداً في بيته؛ لأن الناس اتخذوا البيوت للاستتار مما يؤذي الأبدان من حرٍّ وقرٍّ ومطر وقَتام، ومما يؤذي العِرض والنفس وانكشاف ما لا يجب الساكن اطلاع الناس عليه"[3].

وعليه فإن وصف البيوت بالتركيب الإضافي (غير بيوتكم) دلّ على حرمتها لأنها مملوكة للآخرين وليست للإنسان المنهي عن دخولها إلا بأخذ الإذن ، فبدا الوصف كأنه العامل المقرر للاستئذان، إذ لا يُعقل أن يستأذن الإنسان وهو داخلٌ إلى بيته، بل إن ذلك يحدث حين يدخل بيتاً ليس ببيته لتتحدد الحرية، فليست الحرية مطلقة للإنسان في دخول

(1) جامع البيان: 147/19.
(2) ينظر: الكشاف: 230/3 ، التفسير الكبير: 357/23.
(3) التحرير والتنوير: 196/18.

البيوت، بل إن هناك ضوابط أقرّها الدين الإسلامي لتكون جزءاً من عادات المجتمع؛ ولينسخ ما اعتاده العرب في جاهليتهم من دخول بيوت الآخرين بغير استئذان، لكون الإسلام ثورة اجتماعية تهدف إلى تغيير كل ما فيه إضرار بالمجتمع إلى ما فيه خيره، فجاءت لغة القرآن الكريم معبّرة عن ذلك كله أيمّا تعبير.

7. اشتملت الآية الكريمة من قوله تعالى : ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ ﴾[النور: ٢٩] على وصف لفظة (بيوتاً) بالتركيب الإضافي (غير مسكونة) لبيان حكم الدخول إلى الدور التي لا ساكن بها، أو التي لا أصحاب لها، أن لا حرج في دخولها ولا إثم.

وفي البيوت غير المسكونة أقوال منها إنّها : " الخانات و البيوت المبنية بالطرق التي ليس بها سكان معروفون، وانما بُنيت لمارّة الطريق والسابلة ليأووا إليها ويُؤوا إليها أمتعتهم...، وقيل : كانوا يصنعون في بيوتٍ في طرق المدينة متاعاً وأقتاباً فرخّص لهم أن يدخلوها،... أو البيوت التي تكون بالطرق والخربة فيها منفعة للمسافر في الشتاء والصيف يُأوى إليها "[1]، وقيل أيضاً : إنَّها الأسواق والحوانيت وأنها تدخل جميعها مع ما سبق ذكره في حكم جواز دخولها من دون استئذان من جهة العُرف فهي موضوعة للدخول[2]. فالمراد بالبيوت غير المسكونة : "أنها غير مأهولة على حالة الاستقرار أو غير مأهولة البتة"[3].

لقد جاءت لغة القرآن الكريم بهذا الوصف انطلاقاً من حاجة المجتمع الإسلامي في ذلك العصر وفي كل عصر ليكون الأساس الذي يرفع الحرج عن المسلمين حين تُلزمهم الحاجة إلى دخول الدور والأماكن العامة للمسافر أو المقيم من دون استئذان. فكانت رحلات التجار المسلمين عبر الفيافي والقفار تتطلب دخولهم إلى البيوت المقامة في طريق التجارة والخرائب غير المسكونة، فضلاً عن احتياجهم وغيرهم إلى دخول الحوانيت

(1) جامع البيان: 151/19، 152.
(2) ينظر: التفسير الكبير: 359/23.
(3) التحرير والتنوير: 201/18.

والدكاكين بغير استئذان. وهذا ما يجري عليه الحال في أيامنا وما نشهده من دخولنا أجمعين إلى المدارس والجامعات والمستشفيات والأسواق والأماكن العامة وسوى ذلك من دون استئذان، فجاءت لغة القرآن الكريم بوصف البيوت بالتركيب الإضافي لتشير إلى تغير دلالة (البيت) إلى العموم بدلاً من الخصوص، ولتعبر بذلك عن إحدى متطلبات المجتمع الإسلامي وحاجاته.

8. ورد وصف لفظة (بيوت) بالجملة الفعلية (أَذِنَ اللهُ) في قوله تعالى :﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴾ [النور: 36].

و (أَذِنَ) أصله من (أ ذ ن) " الأَذَنُ: الاستماعُ للشيءِ... وَأَذِنْتُ بهذا الشيء، أي علمْتُ، وآذَنَني: أعلمَني وفعلَه بإذني، أي بعِلْمي، وهو في معنى بأمري، وكذلك الذي يأذن بالدخول على الوالي وغيره"[1]. وذُكر أيضاً أن " بينَ العلمِ والإذْن فرقٌ، فإن الإذنَ أخصُّ ولا يكاد يستعمل إلّا فيما فيه مشيئةٌ ما، ضامَّه الأمرُ أم لم يُضامَّه"[2].

والمراد بالبيوت في هذا الموضع أنها المساجد وليست بيوت السكن ، ودليل ذلك أنه يحصل فيها ذكر الله والتسبيح بحمده والصلاة وسوى ذلك مما لا يليق إلّا بالمساجد لقوله تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾[النور: 36، 37][3]. "والمراد بالإذن : الأمر، ورفعها : بناؤها"[4] أو بمعنى أن الله أمر

(1) العين: 200/8.
(2) مفردات ألفاظ القرآن: 71.
(3) ينظر: جامع البيان: 190/19.
(4) الكشاف: 247/3.

بتعظيمها وتطهيرها عن الأقذار وعن اللغو من القول[1]. ومعنى البناء هو الأولى إذ " هو الأغلب في معنى الرفع في البيوت والأبنية"[2].

ويظهر أن البيوت بهذا الوصف، قد خرجت عن معنى البيت الذي يحيا فيه الإنسان إلى معنىً آخر هو المسجد بيت الله تعالى الذي يجد فيه المسلم السكينة والأمان حين يتجه إلى خالقه في عبادته من صلاة وذكر وتسبيح.

فضلاً عمّا حمله هذا الوصف من إشارة واضحة إلى تأسيس المسجد أو الجامع الذي يعد مصطلحاً جديداً في اللغة العربية وهو يشير أيضاً إلى المكان الذي يجتمع فيه المسلمون للعبادة و يعد أيضاً مؤسسة اجتماعية منذ أول إنشائه في عهد الرسول الأعظم محمد (ﷺ)، إذ كانت تقام فيه الصلاة وتلاوة القرآن وتناقش فيه أمور المسلمين وشؤونهم ويُخطط فيه للمعارك والغزوات إلى غير ذلك، فهو وثيق الصلة بالمجتمع الإسلامي إلى يومنا هذا، ففيه تقام صلاة الفرض والجمعة والتراويح وصلاة العيد والجنازة ودروس تحفيظ القرآن الكريم وجمع الصدقات ونحو ذلك.

فالمسجد هو المكان الذي جعل العرب مجتمعين بعد أن كانوا متفرقين في الجاهلية وهو المكان الذي يجمع المسلمين ويوحدهم اليوم أيضاً، فضلاً عن ارتباطه بالإسلام الذي يعد ثورة اجتماعية وفكرية وعقدية أدت إلى تغيير شامل في عقيدة العرب فتحولوا من الإشراك بالله إلى توحيده سبحانه، وهكذا يظهر جليّاً عمق الصلة بين اللغة والمجتمع.

9. تضمنت الآية الكريمة من قوله تعالى : ﴿ وَٱلۡبَيۡتِ ٱلۡمَعۡمُورِ ﴾ [الطور: 4] وصف البيت بـ (المعمور). وأصل المعمور من (ع م ر) " العَمْرُ : ضربٌ من النخلِ وهو السَّحوُقُ الطويلُ... والعُمْرُ عُمْرُ الحياةِ... وعَمَرَ الناسُ الأرضَ يَعْمُرونها وهي عامرةٌ ومعمورةٌ ومنها العُمْرَانُ"[3]، ويدل أيضاً على " بقاءٍ وامتدادِ زمانٍ... والمعمُورةُ من عُمِرَتْ"

(1) ينظر : التفسير الكبير: 369/24.
(2) جامع البيان: 19/ 191.
(3) العين: 137/2.

(1)، فضلاً عن أنه "يُقال لساكن الدار : عامِرٌ والجمع عُمّارٌ... والمعمورُ : المخدومُ. وعَمْرتُ ربّي وحَجَجْتُه أي خدمْتُه" (2).

هناك من ذهب إلى أن المراد بالبيت المعمور هو الذي " يعمّر بكثرة غاشيته وهو بيت فيما ذُكر في السماء بحيال الكعبة من الأرض، يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة ثم لا يعودون فيه أبداً" (4)، أو أن المراد به " الكعبة وهذا الأنسب ... ووصفه بالمعمور لأنه لا يخلو من طائفٍ به، وعمران الكعبة هو عمرانها بالطائفين، قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ ﴾ [التوبة: 18] ، ومناسبة القسم سَبْقُ القسم بكتاب التوراة ، فعقب ذلك بالقسم بمواطن نزول القرآن، فإن ما نزل به من القرآن أُنزل بمكة وما حولها مثل جبل حراء"(5).

وباعتماد الرأي القائل أن التركيب الوصفي (البيت المعمور) يدل على الكعبة، فإن لغة القرآن الكريم بهذا الوصف قد انتجت مصطلحاً إسلامياً جديداً لم يكن للعرب عهدٌ به كما هو شأن (البيت الحرام) أو (البيت العتيق)، " فالثورات الاجتماعية لاسيما الفكرية بسبب ما تؤدي إليه من تبدل الأشياء التي يراها الإنسان أو يستعملها، أو تبدّل المفاهيم التي يؤمن بها، تؤدي في غالب الأحيان إلى تطور لغوي"(3).

ولعل وصف الكعبة بالعمران يدل حقاً على ما هو حاصل في الواقع. فهي تعد المكان الذي لا يكاد يخلو من المسلمين الذين يقصدونها للحج والعمرة، فضلاً عن أهل مكة المقيمين بها والذين يقصدون الكعبة للصلاة في رحابها والطواف حولها. وحال الكعبة المعمورة بالطائفين والقائمين الركع السجود هو كحال بيت الإنسان العامر بأهله فلا يكاد يخلو منه إلاّ قليلاً. ولابدّ من القول أن وجود الكعبة (البيت المعمور) في مكة – شرّفها

(1) مقاييس اللغة : 4/ 140، 141.
(2) لسان العرب: 604/4.
(4) جامع البيان : 454/22 وينظر: معالم التنزيل:289/4.
(5) التحرير والتنوير :39،38/27.
(3) علم اللغة الاجتماعي عند العرب: 116.

الله – قد جعل مجتمعها يصطبغ بصبغة خاصة انمازت بها من غيرها من المجتمعات، لتوافد المسلمين إليها من كل البقاع، فهي عامرة بهم على مدار العام.

**الخاتمة**

بعد إتمام البحث – بفضل الله تعالى ومنّه – لابدّ لنا من عرض أهم نتائجه وهي :

1. ظهرت الصلة واضحة بين دلالة أوصاف (البيت) التي وردت في القرآن الكريم والمجتمع العربي الجاهلي والإسلامي، فقد عبّرت دلالة تلك الأوصاف عن طبيعة ذلك المجتمع بما يتضمنه من الشعائر الدينية والتقاليد والثقافة، فضلاً عن طبيعة الخطاب الذي يصدر عن عدد من أفراده، وقد ورد ذلك كله بلغة القرآن الكريم الذي نزل بلسان عربي مبين. من ذلك ما جاء من وصف البيت بالخفة الذي دلّ على التنقل وعدم الاستقرار، فعبّر بصدق عن طبيعة الحياة في المجتمع البدوي الصحراوي في شبه جزيرة العرب التي ألجأته الى اتخاذ مثل تلك البيوت، وما ذكر أيضاً من وصف البيت بالفخامة الذي دلّ على الثراء الذي يعود على الطبقة الاجتماعية التي ينتمي اليها المتكلم.
2. اتضح أثر الوصف في إظهار مكانة الموصوف عند المتلقي للخطاب القرآني على نحو ما وجدناه من وصف الكعبة بـ (الحرام) أو (العتيق) وما تضمنه من معانٍ، فهي البيت الجامع للمسلمين والمكان الذي تقام فيه شعائر الحج والعمرة، والملاذ الآمن الذي لا تنتهك حرمته كالبيت الذي يجمع أفراد الأسرة ويوفر لهم الأمان.
3. دلّ الوصف أيضاً على ظهور نوع جديد من الأبنية التي لم يعهدها العرب ولا العالم كله، ألا وهو المسجد أو الجامع الذي يعد المكان المخصص للعبادة في المجتمع الإسلامي والذي ارتبط انشاؤه بظهور الإسلام الذي أحدث تغييراً شاملاً في عقيدة العرب وفكرهم.
4. أشارت دلالة الوصف الى ما أصاب المجتمع العربي من تغيير في عددٍ من عاداته وتقاليده بقصد إرساء ما هو خير منها وذلك بمجيء الإسلام، نحو ما عُرف بـ (أدب الاستئذان) لتعليم المسلم كيفية الدخول إلى بيوت الآخرين، احتراماً لخصوصية أفراد البيت وسعياً بالمجتمع الإسلامي نحو الرقيّ.

5. جاء التركيب الوصفي (البيت المعمور) مصطلحاً جديداً يصف الكعبة، ظهر بظهور الإسلام، وارتبط بالمجتمع الإسلامي وشعائره الدينية الجديدة.

6. أظهرت لغة القرآن الكريم تنوعاً في دلالة أوصاف البيت، إذ وُصف بالحرمة والعظمة والقدم والفخامة والخفة إلى غير ذلك، فأضاف الوصف إلى لفظة (البيت) دلالات أخر فضلاً عن دلالته الأصلية مما قاد إلى توسع في دلالة لفظة البيت.

7. أظهر البحث تنوعاً في أنماط وصف البيت الذي ورد بصيغة المفرد والتركيب الإضافي والجملة الفعلية وشبه الجملة بما يتناسب مع السياق.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

جدول بالآيات المتضمنة لأوصاف (البيت) في القرآن الكريم

| ت | نص الآية | السورة والآية | الوصف | نوعه | دلالته الاجتماعية |
|---|---|---|---|---|---|
| 1. | قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ | آل عمران: 96 | وضع للناس | جملة فعلية | العبادة |
| 2. | قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُحِلُّوا شَعَائِرَ اللَّهِ وَلَا الشَّهْرَ الْحَرَامَ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آمِّينَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ | المائدة: 2 | الحرام | مفرد | التعظيم والتقديس |
| 3. | قَالَ تَعَالَى: ﴿جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِّلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ﴾ | المائدة: 97 | الحرام | مفرد | التعظيم والتقديس |
| 4. | قَالَ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ﴾ | إبراهيم: ٣٧ | المحرم | مفرد | التعظيم والتقديس |
| 5. | قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا﴾ | النحل: 80 | تستخفونها | جملة فعلية | الحياة غير المستقرة |
| 6. | قَالَ تَعَالَى: ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِي السَّمَاءِ﴾ | الإسراء: ٩٣ | من زخرفٍ | شبه جملة | الثراء والفخامة |

| | | | | | |
|---|---|---|---|---|---|
| .7 | قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا۟ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا۟ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا۟ بِٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴿٢٩﴾ ﴾ | الحج: ٢٩ | العتيق | مفرد | الأصالة والقِدم |
| .8 | قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ ﴾ | الحج: ٣٣ | العتيق | مفرد | الأصالة والقِدم |
| .9 | قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ ﴾ | النور: ٢٧ | غير بيوتكم | تركيب إضافي | حرمة البيوت |
| .10 | قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ﴾ | النور: ٢٩ | غير مسكونة | تركيب إضافي | العموم |
| .11 | قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ﴾ | النور: ٣٦ | أَذِن الله | جملة فعلية | المسجد |
| .12 | قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴾ | الطور: ٤ | المعمور | مفرد | الكعبة |

## References


1. "Al-Bayan wal-Tabyin" by Abu Uthman Amr bin Bahr bin Mahbub Al-Jahiz (255 AH), Dar and Maktabat Al-Hilal - Beirut, (n.d.), 1433 AH: 1/136.
2. "Al-Dur Al-Masun fi 'Ulum Al-Kitab Al-Maknun" by Abu Al-Abbas Shahab Al-Din Ahmad bin Yusuf, known as Al-Samini Al-Halabi (756 AH), edited by Dr. Ahmed Muhammad Al-Kharat, Dar Al-Qalam - Damascus, (n.d.), (n.d.): 4/431.
3. "Al-Hasin bin Al-Hamam Al-Mari Al-Faris wa Al-Sha'ir (Siratuhu wa Shi'ruhu)" by Dr. Shareef Alawneh, collected and edited by Dr. Shareef Alawneh, Dar Al-Manahij - Amman, Jordan, (n.d.), 2000 CE: 105.

4. "Al-Kashaf 'An Haqaiq Ghawamid Al-Tanzil wa 'Uyun al-Aqawil fi Wujuh al-Ta'wil" by Abu Al-Qasim Jar Allah Mahmoud bin Umar Al-Zamakhshari (538 AH), edited by Abdul Razzaq Al-Mahdi, Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi - Beirut, (n.d.), (n.d.): 1/414.
5. "Al-Lughah Al-Arabiyyah Ma'naha wa Mabnaha" by Dr. Tamam Hassan, Alam Al-Kutub - Cairo, 5th edition, 1427 AH - 2006 CE: 342, 352.
6. "Al-Luma' fi al-Lughah al-Arabiyyah" by Abu al-Fath Uthman bin Jinni al-Mawsili (392 AH), edited by Fayez Fares, Dar al-Kutub al-Thaqafiyyah - Kuwait, (n.d.), (n.d.): 82.
7. "Al-Tafsir Al-Kabir (Mafatih al-Ghayb)" by Abu Abdullah Muhammad bin Umar Al-Razi (606 AH), Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi - Beirut, 3rd edition, 1420 AH - 1999 CE: 8/295.
8. "Al-Tatwir al-Nahwi lil-Lughah al-Arabiyyah" by J. Bergstrasser, edited and commented by Dr. Ramadan AbdulTawab, Maktabat al-Khanji - Cairo, 2nd edition, 1414 AH - 1994 CE: 209.
9. "Diwan of Zuhayr bin Abi Sulma" with explanation and introduction by Ali Hussein Faour, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah - Beirut, 1st edition, 1408 AH - 1998 CE: 105.
10. "Hima al-Hawamish fi Sharh Jami al-Jawamish" by Jalal al-Din Abd al-Rahman bin Abi Bakr al-Suyuti (911 AH), edited by Ahmed Shams al-Din, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah - Beirut, 1st edition, 1418 AH - 1998 CE: 3/177.
11. "Ilm al-Lughah al-Ijtimai" by Dr. Hudson, translated by Dr. Mahmoud Ayyad, Alam al-Kutub - Cairo, 2nd edition, 1990 CE: 12.

12. "Jami' al-Bayan fi Ta'wil Ayy al-Quran" by Abu Ja'far Muhammad bin Jarir Al-Tabari (310 AH), edited by Ahmed Muhammad Shakir, Al-Risalah Foundation, 1st edition, 1420 AH - 2000 CE: 6/22.

13. "Language and Social Sciences" by Dr. Abdo Al-Rajhi, Dar Al-Sahaba - Tanta, 1st edition, 1434 AH - 2003 CE: 8.

14. "Language and Society" by Dr. Ali Abdulwahid Wafi, published by Dar Ihya Al-Kutub Al-Arabiyyah, Isa Al-Babi Al-Halabi and Partners - Cairo, (n.d.), 1365 AH - 1946 CE: 10.

15. "Language and Society: Opinion and Approach" by Dr. Mahmoud Al-Sa'aran, Alexandria, 2nd edition, 1963 CE: 17.

16. "Linguistic Thinking Between the Ancient and the Modern" by Dr. Kamal Beshir, Dar Gharib for Printing and Publishing - Cairo, (n.d.), 2005 CE: 195.

17. "Ma'alim al-Tanzil fi Tafsir al-Quran" by Abu Muhammad Al-Husayn bin Mas'ud Al-Baghawi (516 AH), edited by Abdul Razzaq Al-Mahdi, Dar Ihya Al-Turath Al-Arabi - Beirut, 1st edition, 1426 AH: 1/471.

18. "Mafahim Alfaz al-Quran" by al-Raghib al-Asfahani (425 AH), edited by Safwan Adnan Dawoodi, Dar al-Qalam - Damascus, Dar al-Shamiyah - Beirut, 5th edition, 1433 AH - 2011 CE: 873.

19. "Majma' al-Amthal" by Abu Al-Fadl Ahmed bin Muhammad Al-Maidani (518 AH), introduced and commented by Naeem Hussein Zarzour, Dar Al-Kutub Al-Ilmiyyah - Beirut, 3rd edition, 2010 CE: 2/216.

20. "Maqayis al-Lughah" by Abu al-Husayn Ahmad bin Fares bin Zakariya (395 AH), edited by Abdul Salam Muhammad

Harun, Dar al-Fikr for Printing, Publishing, and Distribution - Beirut, (n.d.), 1399 AH - 1979 CE: 6/115.

21. "Mu'jam al-Qira'at" by Dr. Abdul Latif Al-Khatib, Dar Saad Al-Din for Printing, Publishing, and Distribution - Damascus, 1st edition, 1422 AH - 2002 CE: 1/574.

22. "Muqaddimah Ibn Khaldun" by Abdul Rahman bin Muhammad bin Khaldun (808 AH), edited by Abdullah Muhammad al-Darwish, Dar Ya'rub - Damascus, 1st edition, 1425 AH - 2004 CE: 2/8.

23. "Sharh al-Mufassal" by Muwaffaq al-Din bin Abi al-Baqaa Ya'ish bin Ali bin Ya'ish al-Mawsili (643 AH), introduced, annotated, and indexed by Dr. Emil Badee Yaqoub, Dar al-Kutub al-Ilmiyyah - Beirut, 1st edition, 1422 AH - 2001 CE: 2/232.

24. "Social Linguistics among the Arabs" by Dr. Hadi Nahar, 1st edition, supported by Al-Mustansiriya University, 1409 AH - 1988 CE: 24.

25. Al-Ayn" by Abu Abdul Rahman al-Khalil ibn Ahmad al-Farahidi (175 AH), edited by Dr. Mahdi Al-Makhzumi and Dr. Ibrahim Al-Samarrai, Dar and Maktabat Al-Hilal - Beirut, (n.d.), (n.d.): 7/162. Also refer to: "Lisan al-Arab" by Muhammad bin Mukarram bin Ali Abu al-Fadl Jamal al-Din Ibn Manzur al-Ansari (711 AH), Dar Sader - Beirut, 3rd edition, 1414 AH: 9/356.

26. Al-Tahrir wal-Tanwir" by Muhammad bin Al-Tahir bin Muhammad bin Ashur (1393 AH), Tunisian Publishing House - Tunisia, (n.d.), 1984 CE: 4/12, 13, 14.

# *The Semantic of Description of the Lexeme of (Home) in the Glorious Qur'an: A Study in the Light of Sociolinguistics*

**Muna Fadel Al-Hallaouji***

## Abstract

The current study aims at investigation the semantic of the lexeme **home** description which are mentioned in the Glorious Qur'an verses from a sociolinguistics perspective to show the relation standing between language and society. The study adopts two approaches vis., descriptive and analytical in an attempt to induce the variety of

Home description ,as mentioned in the Glorious verses ,to be analysed in a manner of highlighting the Arabic society including nature, culture, and values .All is done in a language which is regarded as the top language in eloquence and rhetoric; the Arabic language in the Glorious Qur'an .The study is organized in three sections :Section (1) includes both linguistic and terminological definitions of the term adjective in addition to a linguistic definition of the lexeme home. Section(2) is devoted to introducing sociolinguistics as a field .Finally, Section (3) embraces the analysis of the verses under investigation .The study ends with a conclusion of the most prominent results .

**key words** : relation ,structure, society.

* **Asst.Prof/Department of Arabic Language/College of Education for Human Sciences/University of Mosul.**